ميثاق الربوبية (بين الانسان وربه)

The Deistic Charter between man and God

م. حسن خالد دبيس [1] Lect. Hasan Khalid Dbias

الملخص

١- اية الميثاق التي ذكرها تعالى في كتابه الكريم وهي الاية (١٧٢) و(١٧٣) من سورة الأعراف.

٢- وقد عرف الميثاق بأنه: عهد بين العبد وبين الله تعالى يعترف العبد فيه لله تعالى بالربوبية وعلى نفيه بالعبودية، ويلتزم بموجب هذا الميثاق بالطاعة لله تعالى.

٣- هنالك عدة نظريات في الميثاق وتستند هذه النظريات الى كثير من الروايات والاحاديث والتي يرويها السنة والشيعة ومن هذه النظريات نظرية عالم الذر، ونظرية الفطرة، ونظرية الاقرار العقلي.

٤- وللميثاق اهدافه الخاصة: منها رفع الاعذار عن الالتزام بربوبية الله سبحانة وتعالى من قبيل دفع الاعتذار بالغفلة... ومن الاهداف الاخرى الالتزام بلوازم الربوبية.

٥- وأما موقف الانبياء من الميثاق فقد التزم الانبياء بالميثاق التزاما تاما ودعو اقوامهم للالتزام بالميثاق وكانت التعليمات الصادرة اليهم من الرب تناسب نضوجهم والظروف المحيطة بهم لكن الانبياء عليهم السلام عانوا كثيرا من اقوامهم اثناء تبليغهم رسالاتهم وتربية اقوامهم.

Abstract

- He knew the covenant which is a covenant between the servant and god in which the servant rervant recognizes god as deity.
- There are many theories in the charter and these theories are based on many narrations and hadiths.

١- جامعة أهل البيت-عليهم السلام-/ كلية العلوم الإسلامية.

- The position of the prophets on the covenant. the prophets fully abided by the covenant and called their people to abide by the covenant.
- The verse of charter that god almighty mentioned in noble Quran verse 172 and 173 of surat Al-Araf.

المقدمة

يشير مصطلح الربوبية في العقيدة الاسلامية، الى معنى افراد الله عز وجل بأفعاله، فهو الايمان بأن الله تعالى هو وحده الرزاق المدبر المحيي المميت الضار النافع، وانه سبحانه وتعالى بيده كل شيء فالرزق مثلا وانزال المطر بيده وحده، فتوحيد الربوبية اقرار بأن الله تعالى خالق كل شيء وهو صاحب الرزق والتدبير، في موضوع (ميثاق الربوبية) الذي يتناول كثيرا من قضايا الحياة الهامة، وعندما نقرأ اية الميثاق في سورة الاعراف الاية (١٧٢ و ١٧٣) بامعان وندقق بعمق نجد انها اهم وثيقة ترتبط بحياة الانسان حاضره ومستقبله وترسم طريقه في الحياتين الدنيا والاخرة، فهي تعلن الى اننا مرتبطون بميثاق وعهد مع الله سبحانه وتعالى، وفي جميع الاحتمالات فهو يثبت في اعناقنا مسؤولية الالتزام بهذا الميثاق، ولايمكن التخلص منه الا بتنفيذه، لاننا غدا سوف نحاسب من قبل الذي اخذ منا الميثاق وامضيناه بحضرته حسابا دقيقا بناء على محتواه ومضمونه.

وان سبب اختياري لهذا الموضوع هو قلة المؤلفات التي كتبت فيه، والذي له اهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع، لاننا مرتبطون بميثاق وعهد مع الله سبحانه وتعالى، وعلى الرغم من اهمية البحث الا انه لا يحتوى على البحوث الكافية.

ومن المشاكل التي واجهتنا في هذا البحث هو قلة المصادر التي تتطرق بشكل مباشر عن هذا الموضوع.

وكانت منهجيتنا في البحث هو تفسيري قرآني وذلك باعتماد على الايات المرتبطة بموضوع الميثاق تم تفسيرها وبيان اراء العلماء في ذلك.

ونحن في هذا البحث نحاول ان نثير هذه الاسئلة ونحاول استعراض الاجابة عنها بالاستعانة بما ذكره العلماء والمفسرون والحكماء والمتكلمون وما افاضت به قرائح اهل اللغة والادب، لعلنا نصل الى نتيجة نعرف من خلالها مضمون الوثيقة واهدافها وكيفية العمل بها وتطبيقها وما هو الموقف المناسب منها؟ لنسعد بها ولا نكون من الاشقياء بتركها و الغفلة عنها، ولقد قسمت هذا البحث على ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول معنى الميثاق لغة واصطلاحا وكذلك التعريف بالاية الكريمة من سورة الأعراف والتي جاء فيها الميثاق بين الانسان وربه، أما المبحث الثاني فقد كان البحث فيه حول نظريات الميثاق، أما المبحث الثالث فكان حول اهداف الميثاق.

واكثر ما اعتمدنا من مصادر هذا البحث التفاسير قديمها وحديثا ومنها (الميزان في تفسير القران) للمؤلف محمد حسين الطباطبائي، وكذلك تفسير (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل) للمؤلف ناصر مكارم الشيرازي، وكذلك كتب اللغة والكتب العقائدية والمقالات التي تخص الموضوع.

المبحث الأول:

الميثاق لغة: قال صاحب تاج العروس: {وَثِق بِهِ} يَثِق كوَرِث يرِثُ {ثِقَةً} ومَوْثِقاً، وعَلى الأوّل اقْتصَر الجوهريّ، زَاد ابنُ سِيدَه: {وِثاقَة،} كوِراثَة، وَزَاد الزّمخشَريّ بعد {ثِقَة} وُثُوقاً بالضمّ: ائْتَمَنَه. يُقال: بِهِ ثِقَتِي. {والوَثِيقُ: الشيءُ المحْكَم، ج:} وِثاق بالكَسْر. {ووَثُق الشَّيْءُ} وَثَاقَة كَكَرُم كَرامَةً: صارَ {وَثِيقاً أَي: مُحْكَماً. أَو} وَثُق الرّجل: أخذَ {بالوَثِيقَة فِي أمْرِه، أَي:} بالثِّقة، نقَلَه الجوهريّ {كتَوَثّقَ فِي أمْرِه، نقَلَه ابنُ سِيدَه. وَقَالَ شَمِرٌ: أرضٌ} وَثِيقَةٌ أَي: كَثِيرَةُ العُشْبِ {موْثوقٌ بهَا، وَهِي مثْلُ الوَثِيجَة، وَهِي دونَها.

والميثاقُ، {والمِوْثِقُ، كمَجْلِس: العهْدُ صَارَت الواوُ يَاء لانْكِسار مَا قَبْلَها. قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿وإذْ أخذَ اللهُ ميثاقَ النّبيّين﴾ (أَي: أخذَ العهْدَ عَلَيْهِم بأنْ يُؤمِنوا بمحمّدٍ -ﷺ-، وأخْذُ العهْدِ بمَعْنى الاستِحْلافِ. وقولُه تَعالى:﴿حتّى تؤْتونِ مَوْثِقاً منَ الله﴾ (أَي: ميثاقاً ج: {مَواثيقُ على الأَصْل} ومَياثِيقُ على اللّفْظِ {ومياثِقُ فِي ضَرورة الشّعر. وأنْشَدَ الفرّاءُ لعِياضِ بنِ دُرّةَ الطّائيّ:

(حِمًى لَا يُحَلُّ الدّهْرَ إِلَّا بإذْنِنا... وَلَا نسْأَلُ الأقوامَ عقْدَ المياثِقِ).[٢]

وقال ابن منظور: وثق: الثِّقَةُ: مَصْدَرُ قَوْلِكَ وَثِقَ بِهِ يَثِقُ، بِالْكَسْرِ فِيهِمَا، وِثَاقَةً وثِقَةً ائْتَمَنَهُ، وَأَنَا واثِقٌ بِهِ وَهُوَ مَوْثُوقٌ بِهِ، وَهِيَ مَوثوقٌ بِهَا وَهُمْ مَوْثُوقٌ بِهِمْ؛ فأَما قَوْلُهُ:

إِلَى غَيْرِ مَوْثوقٍ مِنَ الأَرض تَذْهَب

والوَثاقة: مَصْدَرُ الشَّيْءِ الوَثِيق المحْكَم، وَالْفِعْلُ اللَّازِمُ يَوْثُقُ وَثاقةً، والوَثاق اسْمُ الإيثاق؛ تَقُولُ: أوثَقْتُه إِيثَاقًا ووَثاقاً، وَالْحَبْلَ أَوِ الشَّيْءَ الَّذِي يُوثَق بِهِ وِثاقٌ، وَالْجَمْعُ الوُثُقُ بِمَنْزِلَةِ الرِّباطِ والرُّبُطِ. وأَوْثَقَهُ فِي الوَثاقِ أَيْ شَدَّهُ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَشُدُّوا الْوَثاقَ﴾

والوَثِيقُ: الشَّيْءُ المحْكم، وَالْجَمْعُ وِثاقٌ. وَيُقَالُ: أَخذ بالوَثِيقة فِي أَمْرِه أَيْ بالثِّقَة، وتوَثَّق فِي أَمره: مِثْلَهُ. ووَثَّقْتُ الشَّيْءَ تَوْثِيقاً، فَهُوَ مُوَثَّق. والوَثِيقة: الإحكام فِي الأَمر، وَالْجَمْعُ وَثِيق.

والمِوْثِقُ والميثاقُ: الْعَهْدُ، صَارَتِ الْوَاوُ يَاءً لِانْكِسَارِ مَا قَبْلَهَا، وَالْجَمْعُ المواثِيقُ عَلَى الأَصل، وَفِي الْمُحْكَمِ: وَالْجَمْعُ المواثِقُ، ومِيَاثِق مُعَاقَبَةً، وَأَمَّا ابْنُ جِنِّيٍّ فَقَالَ: لَزِمَ الْبَدَلُ فِي مِيَاثق كَمَا لَزِمَ فِي عيدٍ وأَعْيادٍ. والمِوْثِقُ: الميثاقُ. والمواثقة: الْمُعَاهَدَةُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمِيثاقَهُ الَّذِي واثَقَكُمْ بِهِ.[٣]

والميثاق اصطلاحا: عهد بين العبد وبين الله تعالى يعترف العبد فيه لله تعالى بالربوبية وعلى نفيه بالعبودية، ويلتزم بموجب هذا الميثاق بالطاعة لله تعالى، وكذلك عرف الميثاق: والميثاق من الوثاق والشد والربط وكأن هذا الميثاق يشد الانسان ويربطه بالالتزام بالطاعة للأحكام والأوامر والحدود التي يحددها الله تعالى لعبادهِ في حياتهم ويسلب عنهم الخيار والحرية في القبول والرد [٤].

٢- تاج العروس، مرتضى الزبيدي الحنفي، الناشر دار الفكر،(١٤١٤- ١٩٩٤)،ج١٣ص ٤٧٢.

٣- لسان العرب،ابن منظور، الناشر دارأحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي (بيروت- لبنان)، الطبعة الثالثة لسنة (١٤١٩- ١٩٩٩) ج١٥ ص ٢١٢.

٤- الميثاق والشهادة في القران الكريم، محمد مهدي الاصفي، الناشر مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع (١٤٢٠- ١٩٩٩) ص٣.

تعاريف ألفاظ الاية المباركة ومعانيها

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾الأعراف١٧٢﴿أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾الأعراف١٧٣

تضم الآية المباركة على الكثير من الالفاظ التي تحمل معان متعددة فهي الفاظ مشتركة ولها علاقة بفهم الاية ومعرفة حقيقة الميثاق، فكلما اعتمدنا على معنى من معاني الفاظها تغير المعنى الكلي للاية واعطت نظرية من نظريات الميثاق تختلف عن الاخرى، وعليه نحاول ان نستعرض هذه الالفاظ لنتعرف على معانيها وكيف استعملها العرب في خطابهم والقرآن في آياته لنعرف مايراد من كل لفظ في هذه الآية لنعرف المعنى الكلي للآية المباركة لنستنبط الاحكام المرتبطة بها، فالالفاظ المهمة التي ذكرت في الآية ولها علاقة في الميثاق هي:

اولا: لفظ الاخذ

[أخذ] أخذت الشئ آخذه أخذا: تناولته. والإخذُ بالكسر، الاسمُ. والأمْر منه خُذ، وأصله أُؤْخُذْ إلاَّ أنهم استثقلوا الهمزتين فحذفوهما تخفيفاً.

ومن معان الأَخْذُ: التَّناوُلُ وقد ذكر هذا المعنى الكثير من اهل اللغة والمعاجم[٥] وذكر الزبيدي معنى التناول نسبه الى الصِّحَاح والمصباح والأَساس[٦].

، وَقَالَ بعضُهم: الأَخْذُ: حَوْزُ الشيْء. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ فِي الأَصْلِ بمعنَى القَهْرِ والغَلَبَةِ، واسْتَهَر فِي الإهلاكِ والاستِئصالِ[٧].

وهناك معاني اخرى ذكرها اصحاب المعاجم واللغة لسنا بحاجة الى استقصائها

وقد وَرَد استعمال الأَخْذُ فِي القُرْآنِ على خَمْسَةِ أَوْجُهٍ:

الأَوّل: بمعنَى القَبُول. ﴿وأخذتم على ذَلِكُم إصرى﴾ (سُورَة آل عمرَان، الْآيَة: ٨١) أَي قَبِلْتم.

الثَّانِي: بِمَعْنى الحَبْس. ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ (سُورَة يُوسُف، الْآيَة: ٧٨) أَي احْبِس.

الثَّالِث::بِمَعْنى العَذابِ والعُقُوبة {وَكَذلِكَ} أَخْذُ رَبّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ ﴿أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (سُورَة هود، الْآيَة: ١٠٢) أَي عَذَابه.

الرابع: بِمَعْنى القَتْل ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ (سُورَة غَافِر، الْآيَة: ٥) أَي يَقتلوه.

الْخَامِس: بِمَعْنى الأَسْرِ ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ {وَخُذُوهُمْ}﴾ (سُورَة التَّوْبَة، الْآيَة: ٥).

والأَصْل فِيهِ حَوْزُ الشيْءِ وتَحْصِيلُه، وذالك تَارَةً يكون بالتَّنَاوُلِ. كقولِك: أَخذْنَا المالَ، وتَارَةً بالقَهْرِ، نَحْو قَوْله تَعَالَى: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ (سُورَة الْبَقَرَة، الْآيَة: ٢٥٥)[٨].

٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين- بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م عدد الأجزاء: ٦، ٢:٥٥٩.

٦- تاج العروس للزبيدي٩:٣٦٣.

٧- تاج العروس للزبيدي٩:٣٦٣.

٨- تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية، ٩:٣٦٤.

والاخذ في الاية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ يبدو انه يناسب يناسب التناول وحوز الشئ.

اما صاحب الميزان فقال: في معنى الاخذ عدة معانٍ منها

الاخذ: انفصال الماخوذ من الماخوذ منه واستقلاله، ويكون على انحاء

١- اخذ اللقمة واخذ الجرعة من الماء

٢- اخذ الاثاث والمال من يد الغاصب:

٣- اخذ العلم من العالم

٤- اخذ الولد من والده للتربية

٥- المجلس الاخذ من الظهور اخذ بعض المادة بحيث لا تنقص المادة حسب صورتها ولا تنقلب عن تمامها واستقلالها[٩].

اما الطبرسي. يقول الاية تشير:

ان الاخذ من ظهورالآباء الى ارحام الا مهات ثم من خلقة الى خلقة وصورة الى صورة ثم اخرجهم من الارحام بالولادة [١٠]، وهذا كذلك يشير الى معنى آخرمن معاني الميثاق او نظرية من نظرياته

اللفظ الثاني: الذرية ومعانيها

قيل ان الذُّرّية هي من ذرأ الله الخلق.[١١]

وقيل الذُّرّيّة يتوارد عليها أصـــول أربعة؛ وهي (ذ ر أ) و (ذ ر ر) و (ذ ر و) و (ذ ر ى)[١٢] ولكل اصل اشتقاق خاص وهي

الف:فإن كان أصلها (ذ ر أ) فاشتقاقها من: ذرأ الله الخلقّ[١٣].

باء- وإن كان الأصل (ذ ر ر) فاشتقاقها من الذّرّ؛ وعلى هذا الأصل - أربعة أوجهٍ: أوّله أن تكون (فُعْلِيَّةٌ) منسوبةً إلى الذّرٌّ[١٤].

ثانيها: أن تكون (فُعّيلَةٌ) والأصل: ذُرّيرَةٌ؛ فقلبت الرّاء الأخيرة ياءً؛ لتوالي الأمثال فصارت الذرية [١٥].

ثالثها: أن تكون (فُعُّولَة) كجُبُّورَةٍ؛ وهي: الجبروت، وسُـــبُّوْحٍ، والأصـــل: ذُرُّورَةٌ؛ فقلبت الرّاء الأخيرة ياءً؛ لتوالي الأمثال؛ فصار: ذُرُّويَةً؛ فأعلّت الإعلال المتقدّم في قول الأنباريّ فصارت الذُّرّية [١٦].

٩- تفسير الميزان السيد محمد حسين الطباطبائي ٨:١٧١.

١٠- تفسير التبيان الشيخ الطوسي ٥:٢٣٥.

١١- المزهر في علوم اللغة وأنواعها،المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) لمحقق: فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م

١٢- ينظر: معاني القرآن للزجاج ٣٩٩/١، والمحتسب ١٥٦/١-١٦٠، والصحاح (ذرأ) ٥١/١، والبحر المحيط ٣٧٢/١، والدر المصون ١٠١/٢.

١٣- المحتسب ١٥٦/١.

١٤- تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم تأليف: د/عبد الرزاق بن فرج الصاعدي.

١٥- المصدر السابق.

١٦- المصدر السابق.

رابعها: أن تكون (فُعْلُولَةٌ) والأصل: ذُرُّورَةٌ، كقُرْدُودَةٍ؛ وهو ما ارتفع من الأرض؛ فقلبت الرّاء الأخيرة ياءً؛ لتوالي الأمثال، وأعلّت الإعلال المتقدّم فصارت الذُّرِّية [١٧].

جيم- وإن كان أصلها المعتلّ اللاّم فهي تحتمل (ذ ر و) و (ذ ر ي) فالأوّل على أنّها مشتقّةٌ من (ذَرَوْتُ) كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ [١٨].

دال- ان يكون اصلها ذرى ذرَى يَذرِي، اذْرِ، ذرْيًا، فهو ذارٍ، والمفعول مذريّ ذرْي [مفرد]: مصدر ذرَى[١٩]

واستنتج صاحب تفسير الامثل ان اصول الكلمة هي:

١- ذرأ على وزن زَرَعَ يعني الخلق

٢- ذرَّ على وزن سرَّ وتعني الموجودات الصغيرة كالغبار

٣- ذرَوَ معناه النثر والتفريق والتنقية كما في تنقية الحنطة [٢٠]

وهذه الاصول تحتملها كلمة الذرية الواردة في الآية.

اللفظ الرابع: لفظ الرب

وهو اهم لفظ يجب الاعتناء به ومعرفة المعنى المقصود في الآية لان الميثاق الذي امضاه الانسان القرار بالربوبية، والله سبحانه وتعالى خاطب العرب بلغتهم فالمراد من الآية ما يفهمه العرب من الآية من معنى سواء حقيقي او مجازي او كنائي وغيره، ولان للفظ استعمالات كثيرة ومعاني عديدة استعملها العرب في حياتهم ومخاطباتهم وشعرهم، وكذلك استعمل القرآن ذلك اللفظ في آيات عديدة وفي معاني عديدة، فلابد من معرفة اي المعاني استعملت هذه الكلمة في هذه الآية.

المعنى اللغوي

جاء في لسان العرب ان: الرَّبُّ يُطْلَق فِي اللُّغَةِ عَلَى المالكِ، والسَّيِّدِ، والمدَبِّر، والمرَبِّي، والقَيِّمِ، والمُنْعِمِ؛ ثم قَالَوا: وَلَا يُطلَق غيرَ مُضافٍ إِلّا عَلَى اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، وإِذا أُطْلِق عَلَى غيرِه أُضِيفَ، فقيلَ: ربُّ كَذَا.

و قَالَوا: وَقَدْ جاءَ فِي الشِّعْرِ مُطْلَقاً عَلَى غيرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ بالكثير، الرَّبُّ: هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ رَبُّ كلِّ شيءٍ أَي مالكُه، وَلَهُ الرُّبوبيَّة عَلَى جَمِيعِ الخَلْق، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ رَبُّ الأَرْبابِ، ومالِكُ المُلوكِ والأَمْلاكِ [٢١].

وقال ابْنُ الأَنباري: الرَّبُّ يَنْقَسِم عَلَى ثَلَاثَةِ أَقسام:

يَكُونُ الرَّبُّ المالِكَ،

وَيَكُونُ الرَّبُّ السّيدَ المطاع؛قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًاأَي سَيِّدَه؛

١٧- انظر: المحتسب ١/١٥٦-١٥٨، ومعجم مفردات الإبدال والإعلال ١١٨.

١٨- داخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم تأليف: د/عبد الرزاق بن فرج الصاعدي.

١٩- معجم اللغة العربية المعاصرة المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ١:٨٠٨.

٢٠- تفسير الامثل ٥:٢٨٧.

٢١- لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر -بيروت الطبعة: الثالثة- ١٤١٤ هـ،٩:٣٩٩.

وَيَكُونُ الرَّبُّ المصْلِحَ. رَبَّ الشيءَ إذا أَصْلَحَه؛: [٢٢]

وذكر في معجم اللغة المعاصرة معاني كثيرة للفظ الرب نذكر منها ثلاثة معاني رئيسية وبعض فروعها:

١- رب مصدر رَبَّ.

٢- بمعنى سيّد، مالك الشّيء "إذا كان ربُّ البيت بالدُّفِّ ضاربًا... فشيمة أهل البيت كُلِّهم الرَّقصُ- ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾"

المعنى الاصطلاحي

اعتمد السيد مرتضى العسكري في تعريف مصطلحاته الاربعة ومنها رب على الكتب اللغوية ليصل الى المعنى الاصطلاحي فابتدا هنا بقول الراغب حيث قال: الرب في الاصل التربية: وهو انشاء الشيء حالا فحالا الى حد التمام [٢٣].

فمن مارس امر تربية حيوان او انسان - منذ بداية وجودهما حتى يبلغا درجة الكمال في وجودهما - كان مربيا لهما، واضاف اكثر علماء اللغة الى معنى المربي معنى التملك، اي ان الرب يملك المربوب.

وقال الراغب: ان العرب استعاروا لفظة الرب -المصدر- واستعملوها في اسم الفاعل، وبناء على ما ذكرناه فان رب الشي: هو المالك المدبر المربي له[٢٤]

وقال الراغب: اذا كان لمعنى اللفظ جزءان، استعمل تارة في الجزءين معا، واخرى في احدهما منفردا، مثل: المائدة، اسما للخوان والطعام الذي عليه، فانه يستعمل تارة في: الخوان والطعام الذي عليه واخرى في الخوان وحده، او في الطعام وحده [٢٥].

وفي ما نحن فيه يستعمل الرب تارة في المالك المربي، واخرى في المربي وحده، واحيانا في المالك وحده[٢٦].هذا ما وصل اليه العسكري من مفردات الراغب.

ونحن نقول: وهذا يعني ان لفظ الرب في الآية المباركة يشمل جميع معاني (رب) التي استعملها العرب في محادثاتهم و استعملها القرآن في آياته كما تستعمل المائدة (للخوان والطعام عليه)

نعم قد ذكر بعض العلماء استحالة استعمال لفظ مشترك واحد في معنيين في آن واحد [٢٧].

استعمال كلمة (الرب) في القرآن

استعمل القرآن الكريم في آيات متعددة كلمة الرب في جميع المعاني التي استعملها العرب واستعملها في هذه الآية بما يجمع تلك المعاني وايد ذلك السيد العسكري حيث قال: وقد جاءت كلمة (الرب) في القرآن بجميع ما ذكرناه آنفاً من معانيها. ففي بعض المواضع أريد بها معنى أو معنيان من تلك المعاني. وفي الأخرى أريد بها أكثر من ذلك. وفي الثالثة جاءت الكلمة مشتملة على المعاني الخمسة بأجمعها في آن واحد. وها نحن نبين ذلك بأمثلة من آي الذكر الحكيم.

٢٢- المصدر السابق٩:٤٠١.

٢٣- مفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ١:٣٣٦.

٢٤- مرتضى العسكري نقلا عن الراغب الاصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ):. ١٧:٢.

٢٥- لمفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)١:٦٦٨.

٢٦- المصطلحات مرتضى العسكري ١٥:٢

٢٧- القرآن في مدرسة اهل البيت السيد هاشم الموسوي ٤:٦

بالمعنى الأول:التربية

﴿قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي﴾ (يوسف: ٢٣)

بالمعنى الثاني: مع المعنى الاول: التربية والتهيئة والجمع

﴿فإنهم عدوٌ لي إلا رب العالمين. الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين﴾ (الشعراء: ٧٧-٨٠)

بالمعنى الثالث:التعهد والاستصلاح والرعاية والكفالة

﴿هو ربكم وإليه ترجعون﴾ (هود: ٣٤)

﴿ثم إلى ربكم مرجعكم﴾ (الزمر: ٧)

﴿قل يجمع بيننا ربنا﴾ (سبأ: ٢٦)

﴿وما من دابةً في الأرض ولا طائرٍ يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم، ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربّهم يُحشرون﴾ (الأنعام: ٣٨)

﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون﴾ (يس: ٥١)

بالمعنى الرابع: وباشتراك بعض تصور المعنى الثالث.

السيادة

﴿اتّخذوا أحبارهم ورُهبانهم أرباباً من دون الله﴾ (التوبة: ٣١)

﴿ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ (آل عمران: ٦٤)

والمراد بالأرباب في كلتا الآيتين الذين تتخذهم الأمم والطوائف هداتها ومرشديها على الإطلاق. فتذعن لأمرهم ونهيهم، وتتبع شرعهم وقانونهم، وتؤمن بما يحلون وما يحرمون بغير أن يكون قد أنزل الله تعالى به من سلطان، وتحسبهم فوق ذلك أحقاء بأن يأمروا وينهوا من عند أنفسهم، ومنه ما جاء في سورة يوسف

﴿أما أحدكما فيسقي ربه خمراً﴾.. ﴿وقال للذي ظنّ أنه ناجٍ منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾.. ﴿فلما جاءه الرّسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطّعن أيديهنّ إنّ ربي بكيدهنّ عليم﴾ (يوسف: ٤١، ٤٢، ٥٠)

قد كرر يوسف -عليه السلام- في خطابه لأهل مصر في هذه الآيات تسمية عزيز مصر بكلمة (ربهم) فذلك لأن أهل مصر بما كانوا يؤمنون بمكانته المركزية وبسلطته العليا، ويعتقدون أنه مالك الأمر والنهي، فقد كان هو ربهم في واقع الأمر، وبخلاف ذلك لم يُرد يوسف -عليه السلام- بكلمة (الرب) عندما تكلم بها بالنسبة لنفسه إلا الله تعالى فإنه لم يكن يعتقد فرعون، بل الله وحده المسيطر القاهر ومالك الأمر والنهي.

اقول: ولما قال يوسف ﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾يوسف٢٣ انه ربي يعني الذي رباني.

بالمعنى الخامس:التملك

﴿فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوفٍ﴾ (قريش: ٣-٤)

﴿سبحان ربك ربِّ العزة عما يصفون﴾ (الصافات: ١٨٠)

﴿فسبحان الله ربِّ العرش عما يصفون﴾ (الأنبياء: ٢٢)
﴿رب السماوات والأرض وما بينهما وربُّ المشارق﴾ (الصافات: ٥)
﴿وأنه هو رب الشِّعرى﴾ (النجم: ٤٩)[٢٨]

ومنه يمكن ان نستنتج لماذا لم يستعمل صفة او اسم آخر من اسماء الله الحسنى غير الرب كان يقول الست بخالقكم او مصوركم وغيرها من الاسماء والصفات المقدسة، على مايبدو ان ما تدل عليه كلمة رب من المعاني وما يترتب عليها من لوازم اوسع من غيرها من الاسماء والصفات المقدسة او بتعبير آخر ان كلمة الرب في آية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف١٧٢ تسع كل الصفات والاسماء الالهية، فهي تحمل المعاني الخمسة التي ذكرها السيد العسكري التي استعملها العرب او ذكرها القرآن، وبالنتيجة فان الالتزام بمعانيها يعني الالتزام بكل الشرائع السماوية التي صدرت من الرب المطلق رب الارباب.

خامسا: لفظ النفس

جاء في الآية الشريفة لفظ النفس بقوله تعالى:﴿واشهدهم على انفسهم﴾ لمعرفة ماهي النفس الشاهدة والمشهود عليها علينا ان ننظر الى معاني النفس التي استعملها العرب والقرآن الكريم فما ذكر من معاني الى كلمة النفس كما جاء في معجم اللغة المعاصرة هو.

نفْس [مفرد]: جمعها أَنْفُس

١- المصدر نفَسَ وهي النَّفْسُ النَّاطقة: اي نفس الإنسان.

٢- النفس هي حقيقة الأمر وَ (نَفْسُ) الشَّيْءِ عَيْنُهُ يُؤَكَّدُ بِهِ، يُقَالُ: رَأَيْتُ فُلَانًا نَفْسَهُ وَجَاءَنِي بِنَفْسِهِ.

٣- ذات، الجسم والرُّوح " ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ ".

٤- ضمير وقلب " ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ "

٥- وتقسم النفس الى النَّفْسُ الأمَّارة: التي تميل إلى الطبيعة البدنيّة وتأمر بالذات والشهوات الحسِّيَّة وتجذب القلبَ إلى الجهة السفليّة، فهي مأوى الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة.

و النَّفْسُ اللَّوَّامة: التي تلوم صاحبَها لومًا شديدًا على ارتكاب الشّرّ أو التقصير في عمل الخير- النَّفْسُ المطمئنَّة: التي يتمّ تنوّرها بنور القلب حتى انخلعت صفاتها الذميمة وتخلَّقت بالأخلاق الحميدة.

٦- جنس " ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[٢٩]، ايمن جنسكم وهو الانسان

٧- النفس: بفتح فسكون جمعها أنفس ونفوس،من نفس، العقل الذي يكون التمييز به[٣٠].

٢٨- المصطلحات الاربعة في القرآن السيد العسكري ص٢٤-٢٧

٢٩- معجم اللغة العربية المعاصرة المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ٣:٢٢٦٤.

٣٠- معجم لغة الفقهاء المؤلف: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ١:٤٨٤.

٨- النَّفْسُ: الرُّوحُ، يُقَالُ: خَرَجَتْ نَفْسُهُ[٣١].

سادسا: لفظ الشهادة

جاء لفظ الشـــهادة في القرآن مرات عديدة وبمعاني عديدة وجاء في الآية مرتين ﴿فاشـــهدهم على انفسهم﴾ ﴿وقالوا شهدنا﴾

والمعاني التي يمكن تحملها كلمة الشهادة بصورة عامة هي:

ذكر كشاف المصطلحات: ان الشهادة بالفتح والهاء المخفّفة

لغة: خبر قاطع،- معتمدا على ما جاء في القاموس-

وشـرعا: إخبار بحقّ للغير على آخر عن يقين، وذلك المخبر يسـمّى شـاهدا. فقولنا بحقّ أي بمال أو غيره مما يثبت ويسـقط فيشـتمل حقّ الله تعالى وحقّ العبد، وقولنا على آخر يخرج الإقرار فإنّه إخبار للغير على نفسه. وقولنا عن يقين يخرج الإخبار الذي هو عن حسبان وتخمين..

وعند الصوفية هي عالم الملك كما في كشف اللغات.[٣٢]

أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْعَبْدَ بِأَنْ يَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْحَقِّ، وَيُسَمِّي الْإِقْرَارَ عَلَى نَفْسِهِ شَهَادَةً، كَمَا تُسَمَّى الشَّهَادَةُ عَلَى الْغَيْرِ الْإِقْرَارَ[٣٣].

وفي معجم الفقهاء

الشهادة:الاخبار بحق شخص على غيره عن مشاهدة وعيان لا.

عن تخمين وحسبان... والمشاهدة: المعاينة.

فالشهادة بالتسامع: الشهادة بحق من غير معاينة، ولكن بناء على سماعه عن ثقة،

شهادة الزور: تعمد الكذب في الشهادة...

الشهادتان: قول اشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد ان محمد رسول الله.[٣٤]

هذا بعض ما جاء في المعاجم اما الشهادة في التفاسير

ففي تفسير الاصفى قال:اشهدهم على انفسهم أي: نصب لهم دلائل ربوبيته، وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الاقرار بها حتى صـــاروا بمنزلة الاشـــهاد، على طريقة التمثيل، نظير ذلك قوله عزوجل: ﴿إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾[٣٥].

٣١- مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ١:٣١٦.

٣٢- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني الناشر: مكتبة لبنان ناشرون- بيروت الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.، ١:١٠٤٣.

٣٣- احكام القرآن المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م،: ١:٦٣٦.

٣٤- معجم لغة الفقهاء

المؤلف: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ١:٢٦٦.

٣٥- تفسير الاصفى ١:٤٦٣.

سابعا: لفظ غافلون

الغفلة احد الاعذار المحتملة لعدم الاقرار في الشـــهادة كما هو في الآية ﴿ان تقولو انا كنا عن هذا غافلون﴾، جاء من معاني الغفلة في اللسان

غفل: غَفَلَ عَنْهُ يَغْفُلُ غُفولًا وغَفْلةً وأَغْفَلَه عَنْهُ غيرُه وأَغْفَلَه: تركَه وَسَهَا عَنْهُ؛

وأَغْفَلْتُ الرَّجُلَ: أَصبْتُه غَافِلًا، وَعَلَى ذَلِكَ فَسَّرَ بَعْضُهُمْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا﴾.

قَالَ ابْنُ سِـــيدَهْ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ﴾؛ يَصْـــلُحُ أَن يَكُونَ، وَاللَّهُ أَعلم، كَانُوا فِي تَرْكِهِمِ الإِيمانَ بِاللَّهِ والنظرَ فِيهِ والتدبُّرَ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الغافِلين، قَالَ: وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ وَكَانُوا عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ مِنَ الإِثابة عَلَيْهِ غافِلين، وَالِاسْمُ الغَفْلة والغَفَل

وَفِي الْحَدِيثِ: مَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ

أَي يَشْتَغِلُ بِهِ قَلْبُهُ وَيَسْتَوْلِي عَلَيْهِ حَتَّى تَصِيرَ فِيهِ غَفْلة.

والتَّغافُلُ: تَعمُّدُ الغَفْلة عَلَى حدِّ مَا يَجِيءُ عَلَيْهِ هَذَا النَّحْوُ.

وتَغَافَلْت عَنْهُ وتَغَفَّلْتُه إِذا اهْتَبَلْتَ غَفْلَتَه. [٣٦]

وقالوا:الغفلة بالفاء تذكر في لفظ النسيان.[٣٧]

وذكر في معجم اللغة العربية المعاصرة ان الغفلة تحصل من امور

حصل الغفلة من أمور هي:

١- غيبة الشَّـيء عن بال الإنسـان٢- وعدم تذكُّره له،٣- المفاجأة ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَـا﴾ اي على حين غَفْلـة: فجـأة، على حين غِرَّة، على غير انتظـار- في غفلـةٍ منـه: وهو غير منتبه[٣٨]

ولعل ماذهب اليه ابن سيدة هو المعنى الاقرب الذي قصد في الآية

تَرْكِهِمِ الإِيمانَ بِاللَّهِ والنظرَ فِيهِ والتدبُّرَ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الغافِلين وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ وَكَانُوا عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ مِنَ الإِثابة عَلَيْهِ غافِلين هو الانسب.

ثامنا: الآباء

العذر الثاني المحتمل الذي يمكن ان يعتذر به لعدم الاقرار بالربوبية هو تظليل الآباء، من هنا نريد ان نتعرف من هم الآباء المقصودين.

جاء من معاني الاب -الذي جمعه آباء - على ما جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة هو:

٣٦- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر- بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ،١١:٤٩٨.

٣٧- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم

المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون — بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م،٢:١٢٥٤.

٣٨- معجم اللغة العربية المعاصرة المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عملالناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ٢:١٦٣٠.

١- والد، أو من يتولَّد عنه آخر من نوعه
٢- جَدّ ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ".
٣- لقب كنسيّ لرجل الدّين عند المسيحيّين "آباء الكنيسة
٤- من يكون سببًا في إيجاد شيء أو إصلاحه، أو من يتّصف بصفة معيّنة مثل"أبو الكرم:
٥- وصيّ، مُربٍّ، عمّ "﴿وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾"[٣٩].

تاسعا: لفظ الشرك

جاء في الآية المباركة انما اشرك آباؤنا فاي معاني الشرك الذي تقصده الآية المباركة والذي اتبعه الابناء.
جاء قي معجم العربية المعاصرة من معاني شرك ومشتقاتها [٤٠]
شرِكَ: يَشرَك، شِرْكًا وشِرْكةً وشَرِكةً، فهو شريك، والمفعول مَشْروك
شــرِك فلانًا في الأمر: كان لكلٍّ منهما نصــيب منه، فكلّ منهما شــريك للآخر "شــرِكه في تجارته/ جريمته-
شرك:اشتراك ومساهمة ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾: ".

المبحث الثاني: نظريات الميثاق

اولا: نظرية عالم الذر

ذكر هذه النظرية الكثير من علماء الســنة والشــيعة، وبغض النظر عن الايمان بها او عدم الايمان الا انهم ذكروا هذه النظرية وخاصة المفسرين منهم وذكروا المؤيدات معها والنواقض ليعطوك الفرصة لان تفكر وتستنتج ويمكن ان يقال ان اوسع من ذكر النظرية وعلق عليها من السنة هو الرازي في تفسيره الكبير و من الشيعة صاحب الميزان في تفسيره لذلك سوف نركز على كلامهم اكثر من غيرهم، وان كان كل من يتعرض الى تفســير الآية الكريمة يتعرض الى الميثاق ويبين نظرياته واول ما يبدا بعالم الذر، الا ان الرازي في تفســير الآية المباركة يكثر الادلة المثبتة لعالم الذر والناقضــة له، ويبدأ بقوله: وفي تفســير هذه الآية قولان: الأول: وهو مذهب المفسرين وأهل الأثر ثم يسرد مجموعه من الروايات المثبتة، ثم يرد تلك الادلة [٤١]:(لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته إلى يوم القيامة).

ومنها وقال مقاتل: (إن الله مسح صفحة ظهر آدم سوداء كهيئة الذر فقال يآدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم: ﴿أَلَسْــتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾ فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصــحاب اليمين، وقال للســود هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة ثم أعادهم جميعاً في صلب آدم، فأهل القبول محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال، وأرحام النساء [٤٢] و يقول هذا القول

٣٩- معجم اللغة العربية المعاصرة المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ١:٥٥
٤٠- المصدر السابق ٢:١١٩٦- ١١٩٣.
٤١- لتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي سنة الولادة ٥٤٤/ سنة الوفاة ٦٠٤. تحقيق الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ٣٢،١٥: ١٤٠.
٤٢- لتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي.

قد ذهب إليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والضحاك، وعكرمة، والكلبي[٤٣].

صور نظرية عالم الذر: الصورة التي ذكرها مكارم شيرازي

عرض مكارم الشيرازي النظرية بقوله (حين خُلق آدم ظهر أبناؤه على صورة الذّر إلى آخر نسلٍ له من البشر «وطبقاً لبعض الرّوايات ظَهرَ هذا الذّر أو الذرّات من طينة آدم نفسه» وكان لهذا الذرّ عقلٌ وشعور كافً للإستماع والخطاب والجواب، فخاطب الله سبحانه الذرّ قائلا (الستُ بربّكم)؟! فَأجاب الذرّ جميعاً: (بلى شهدنا).

ثمّ عاد هذا الذرّ «أو هذه الذرات» جميعاً إلى صُلب آدم «أو إلى طينته» ومن هنا فقد سُميَ بهذا العالم بعالم الذرّ وهذا العهدُ بعهد «ألست»؟، فبناءً على ذلك، فإنّ هذا العهد المشار إليه آنفاً هو عهد تشريعي، ويقوم على أساس «الوعي الذاتي» بين الله والناس)[٤٤].

وقال وردت روايات تؤيد هذا الراي بحيث تتصور لأوّل وهلة وكأنّها رواية متواترة... فمثلا في تفسير البرهان وردت ٣٧ روايةً، وفي تفسير نور الثقلين وردت ذيل الآيات الآنفة ٣٠ رواية بعضها مشترك والآخر مختلف، وبملاحظة الإختلاف فيها فقد يصل مجموع ما ورد من الرّوايات إلى أربعين روايةً[٤٥].

تصوير صاحب الميزان لهذه النظرية

محصله: أن الله سبحانه بعد ما خلق آدم إنسانا تاما سويا أخرج نطفة التي تكونت في صلبه – ثم صارت هي بعينها أولاده الصلبيين – إلى الخارج من صلبه ثم أخرج من هذه النطف نطفها التي ستتكون أولادا له صلبيين ففصل بين أجزائها و الأجزاء الأصلية التي اشتقت منها ثم من أجزاء هذه النطف أجزاء أخرى هي نطفها ثم من أجزاء الأجزاء أجزاءها و لم يزل حتى أتى آخر جزء مشتق من الأجزاء المتعاقبة في التجزي، و بعبارة أخرى أخرج نطفة آدم التي هي مادة البشر و وزعها بفصل بعض أجزائه من بعض إلى ما لا يحصى من عدد بني آدم بحذاء كل فرد ما هو نصيبه من أجزاء نطفة آدم، و هي ذرات منبثة غير محصورة.

ثم جعل الله سبحانه هذه الذرات المنبثة عند ذلك – أو كان قد جعلها قبل ذلك كل ذرة منها إنسانا تاما في إنسانيته، هو بعينه الإنسان الدنيوي الذي هو جزء المقدم له فالجزء الذي لزيد هناك هو زيد هذا بعينه، و الذي لعمرو هو عمرو هذا بعينه فجعلهم ذوي حياة و عقل و جعل لهم ما يسمعون به و ما يتكلمون به، و ما يضمرون به معاني فيظهرونها أو يكتمونها و عند ذلك عرفهم نفسه فخاطبهم فأجابوه، و أعطوه الإقرار بالربوبية إما بموافقة ما في ضميرهم لما في لسانهم أو بمخالفته ذلك.

ثم إن الله سبحانه ردهم بعد أخذ الميثاق إلى مواطنهم من الأصلاب حتى اجتمعوا في صلب آدم و هي على حياتها و معرفتها بالربوبية و إن نسوا ما وراء ذلك مما شاهدوه عند الإشهاد و أخذ الميثاق، و

٤٣– لتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي سنة الولادة ٥٤٤/ سنة الوفاة ٦٠٤. تحقيق الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ٣٢،:١٥: ١٤٠.

٤٤– تفسير الامثل مكارم شيرازي ٢٨٨:٥

٤٥– المصدر السابق ٢٨٩:٥

هم بأعيانهم موجودون في الأصلاب حتى يؤذن لهم في الخروج إلى الدنيا فيخرجون و عندهم ما حصلوه في الخلق الأول من معرفة الربوبية، و هي حكمهم بوجود رب لهم من مشـــاهدة أنفســـهم محتاجة إلى من يملكهم و يدبر أمرهم.(٤٦) وذكر بعض الروايات منها:

حين خلق الاله آدم ظهر ابناؤه على شكل ذر وكان لهذا الذر شعور وعقل كاف للاستماع والخطاب والجواب وبعد الجواب عاد هذا الى صلب آدم (٤٧)

"أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر، فعرفهم نفســه وأراهم صــنعه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه(٤٨).

وفي رواية: سـئل: كيف أجابوا وهم ذر؟ فقال: " جعل فيهم ما إذا سـألهم أجابوه(٤٩) والروايات كثيرة قد تبلغ الاربعين رواية.

تصوير الرازي

اعتمد على ذكر الروايات الواردة في هذا الشـــأن في تصـــويره لعالم الذر فقال وفي تفســـير هذه الآية قولان: الأول: وهو مذهب المفســـرين وأهل الأثر:: ظاهر الآية يدل على أنه تعالى أخرج الذر من ظهور بني آدم فيحمل ذلك على أنه تعالى يعلم أن الشـــخص الفلاني يتولد منه فلان وذلك الفلان فلان آخرفعلى الترتيب الذي علم دخولهم في الوجود يخرجهم ويميز بعضـــهم من بعض، وأما أنه تعالى يخرج كل تلك الذرية من صـــلب آدم، فليس في لفظ الآية ما يدل على ثبوته وليس في الآية أيضـــاً ما يدل على بطلانه، إلا أن الخبر قد دل عليه، فثبت إخراج الذرية من ظهور بني آدم بالقرآن، وثبت إخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر، وعلى هذا التقدير: فلا منافاه بين الأمرين ولا مدافعة، فوجب المصير إليهما معاً. صوناً للآية. والخبر عن الطعن بقدر الإمكان، فهذا منتهى الكلام في تقرير هذا المقام (٥٠).

ومن الروايات التي اعتمد عليها: ما روى مسلم بن يسار الجهني أن عمر -رضي الله عنه- سئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسـول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- سـئل عنها فقال: (إن الله سـبحانه وتعالى خلق آدم ثم مسـح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون) فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال -صلى الله عليه وآله وسلم- : (إن الله إذا خلق العبد للجنة اســـتعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل الجنة وإذا خلق العبد للنار اســـتعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله الله النار) وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسـول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: (لما خلق الله آدم مسـح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته إلى يوم القيامة) وقال مقاتل: (إن الله مسح صفحة ظهر آدم سوداء كهيئة الذر فقال يآدم هؤلاء ذريتك.

٤٦- تفسير الميزان السيد الطباطبائي ١٨٧:٨

٤٧- المصدر السابق ١٨٧:٨.

٤٨- التوحيد: ٣٣٠ الباب: ٥٣، الحديث: ٩، عن أبي جعفر -عليه السلام-.

٤٩- الكافي ٢: ١٢، الحديث: ١، عن عبد الله -عليه السلام-.

٥٠- المصدر السابق١٥:٤٣

ثم قال لهم: ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾ فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة ثم أعادهم جميعاً في صلب آدم، فأهل القبول محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال، وأرحام النساء. وقال تعالى فيمن نقض العهد الأول ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ (الأعراف: ١٠٢) وهذا القول قد ذهب إليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والضحاك، وعكرمة، والكلبي[٥١].

وهناك من يرى ان الشهادة من قبل الملائكة كما عن الكلبي حيث قال: مسح ظهر آدم -عليه السلام-، فأخرج منه كل خلق هو خالقه ثم قال: ألست بربكم قالوا بلى. ثم قال للملائكة: اشهدوا فقالوا شهدنا. قال يحيى: قال الحسن: ثم أعادهم في صلب آدم -عليه السلام-[٥٢].

نظرية الفطرة:

وهذا الراي ذكره مكارم شيرازي في تفسيره وتبناه وسماه عالم الاستعداد وعهد الفطرة فقال:

(إنّ المراد من هذا العالم هو عالم الإستعداد «والكفاءات»، و«عهد الفطرة» والتكوين والخلق. فعند خروج أبناء آدم من أصلاب آبائهم إلى أرحام الأُمهات، وهم نطف لا تعدو الذرات الصغار، وهبهم الله الإستعداد لتقبل الحقيقة التوحيدية، وأودع ذلك السرّ الإلهي في ذاتهم وفطرتهم بصورة إحساس داخلي... كما أودعه في عقولهم وأفكارهم بشكل حقيقة واعية بنفسها.

فبناءً على هذا، فإنّ جميع أبناء البشر يحملون روح التوحيد، وما أخذه الله من عهد منهم أو سؤاله إيّاهم: ألست بربكم؟ كان بلسان التكوين والخلق، وما أجابوه كان باللسان ذاته[٥٣].

وايد كلامه هذا بقوله:

ومثل هذه التعابير غير قليلة في أحاديثنا اليوميّة، إذ نقول مثلا: لون الوجه يُخبر عن سره الباطني «سيماهم في وجوهم»، أو نقول: إنّ عيني فلان المجهدتين تنبئان أنّه لم ينم الليلة الماضية.)، كما ورد في القرآن الكريم التعبير على لسان الحال، كالآية (١١) من سورة فصلت، إذ جاءَ فيها ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [٥٤]، وفي معرض دفاعه عن هذا الراي قال: غير أنّنا إذا أخذنا بالتّفسير الثّاني، فلا يرد عليه أيُّ إشكال ممّا سبق- الاشكالات الاربعة -التي اوردها على نظرية عالم الذر-، لأنّ السؤال والجواب، أو العهد المذكور- عهد فطري، وما يزال كلّ منّا يحس بآثاره في أعماق روحه، وكما يعبر عنه علماء النفس بـ «الشعور الديني» الذي هو من الإحساسات الأصيلة في العقل الباطني للإنسان. وهذا الإحساس يقود الإنسان على امتداد التأريخ البشري إلى «طريق» معرفة الله...

٥١- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي سنة الولادة ٥٤٤/ سنة الوفاة ٦٠٤ تحقيق الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م مكان النشر بيروت ١٥:٣٩

٥٢- المكتفى في الوقف والابتدا المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) المحقق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان الناشر: دار عمار الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م عدد الأجزاء: ١، ٨٠، وقال الآلوسي في في روح المعاني ٦٩: ٥ أخرج مالك في الموطأ وأحمد وعبد بن حميد والبخاري في التاريخ وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وخلق كثير عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب....الخ

٥٣- تفسير الامثل مكارم شيرازي الامثل٥:٢٨٩

٥٤- تفسير الامثل مكارم شيرازي الامثل٥:٢٨٩

ومع وجود هذا الإحساس أو الفطرة لا يمكن التذرّع بأنّ أباءنا كانوا عبدةً للأصنام ونحن على آثارهم مقتدون ﴿فطرةَ الله التي فطرَ الناسَ عليها﴾[٥٥].

نظرية الشعور بالحاجة

ذكر الطباطبائي في تفسيره نوعاً آخر من انواع الفطرة حيث قال:

فالإنسان في أي منزل من منازل الإنسانية نزل يشاهد من نفسه أن له ربا يملكه و يدبر أمره، و كيف لا يشاهد ربه و هو يشاهد حاجته الذاتية؟ و كيف يتصور وقوع الشعور بالحاجة من غير شعور بالذي يحتاج إليه؟ فقوله: ﴿أ لست بربكم﴾ بيان ما أشهد عليه، و قوله: ﴿قالوا بلى شهدنا﴾ اعتراف منهم بوقوع الشهادة و ما شهدوه، و لذا قيل: إن الآية تشير إلى ما يشاهده الإنسان في حياته الدنيا أنه محتاج في جميع جهات حياته من وجوده و ما يتعلق به وجوده من اللوازم و الأحكام، و معنى الآية أنا خلقنا بني آدم في الأرض و فرقناهم و ميزنا بعضهم من بعض بالتناسل و التوالد، و أوفقناهم على احتياجهم و مربوبيتهم لنا فاعترفوا بذلك قائلين: بلى شهدنا أنك ربنا.

و على هذا يكون قولهم: ﴿بلى شهدنا﴾ من قبيل القول بلسان الحال أو إسناد اللازم القول إلى القائل بالملزوم حيث اعترفوا بحاجاتهم و لزمه الاعتراف بمن يحتاجون إليه، و الفرق بين لسان الحال، و القول بلازم القول: أن الأول انكشاف المعنى عن الشيء لدلالة صفة من صفاته و حال من أحواله عليه سواء شعر به أم لا كما تفصح آثار الديار الخربة عن حال ساكنيها، و كيف لعب الدهر بهم؟ و عدت عادية الأيام عليهم؟ فأسكنت أجراسهم و أخمدت أنفاسهم، و كما يتكلم سيماء البائس المسكين عن فقره و مسكنته و سوء حاله و الثاني انكشاف المعنى عن القائل لقوله بما يستلزمه أو تكلمه بما يدل عليه بالالتزام.[٥٦]

ثالثا: نظرية الاقرار العقلي من خلال التفكر الانفسي والآفاقي

ويمكن ان يفهم هذا الراي من كلام صاحب الميزان بقوله:

ذكر عدة من المفسرين أن المراد بهذا الظرف المشار إليه بقوله: ﴿و إذ أخذ ربك﴾ هو الدنيا، و الآيتان تشيران إلى سنة الخلقة الإلهية الجارية على الإنسان في الدنيا فإن الله سبحانه يخرج الذرية الإنسانية من أصلاب آبائهم إلى أرحام أمهاتهم و منها إلى الدنيا، و يشهدهم في خلال حياتهم على أنفسهم، و يريهم آثار صنعه و آيات وحدانيته، و وجوه احتياجاتهم المستغرقة لهم من كل جهة الدالة على وجوده و وحدانيته فكأنه يقول لهم عند ذلك: ﴿أ لست بربكم﴾، و هم يجيبونه بلسان حالهم: بلى شهدنا بذلك و أنت ربنا لا رب غيرك، و إنما فعل الله سبحانه ذلك لئلا يحتجوا على الله يوم القيامة بأنهم كانوا غافلين عن المعرفة، أو يحتج الذرية بأن آباءهم هم الذين أشركوا[٥٧]، فعذر اشراك الآباء يرى صاحب الميزان لا يدفعه هذا الراي- فقال:و أما الذرية فلم يكونوا عارفين بها و إنما هم ذرية من بعدهم نشئوا على شركهم

٥٥- التفسير الامثل مكارم شيرازي ٥:٤٩٤

٥٦- الميزان ٨:١٧١:

٥٧- تفسير الميزان السيد محمد حسين الطباطبائي٨:١٧٢.

من غير ذنب.[٥٨] وكانه يرى ان هذا يقطع عذر من يعتذر بالغفلة ولا يقطع عذر من اعتذر بتظليل الآباء لان عقولهم لم توصلهم الى الميثاق فاعتمدوا على آبائهم فظلوا بظلالهم. وهذا يعد رداً ضمنياً على هذه النظرية لانها لا تمنع العذرين. وله كلام آخر يمكن ان نعده ردا لهذه النظرية حيث قال: بقي الكلام فيما ذكره النافون (بوجود نشأة اخري) أن الآية تشير إلى ما عليه حال الإنسان في هذه الحياة الدنيا، و هو أن الله سبحانه أخرج كلا من آحاد الإنسان من الأصلاب و الأرحام إلى مرحلة الانفصال و التفرق، و ركب فيهم ما يعرفون به ربوبيته و احتياجهم إليه كأنه قال لهم إذا وجه وجوههم نحو أنفسهم المستغرقة في الحاجة: أ لست بربكم؟ و كأنهم لما سمعوا هذا الخطاب من لسان الحال قالوا: بلى أنت ربنا شهدنا بذلك، و إنما فعل الله ذلك لتتم عليهم حجته بالمعرفة و تنقطع حجتهم عليه بعدم المعرفة، و هذا ميثاق مأخوذ منهم طول الدنيا جار ما جرى الدهر و الإنسان يجري معه.

و الآية بسياقها لا تساعد عليه فإنه تعالى افتتح الآية بقوله: ﴿و إذ أخذ ربك﴾ الآية فعبر عن ظرف هذه القضية بإذ و هو يدل على الزمن الماضي أو على أي ظرف محقق الوقوع نحوه كما في قوله: ﴿و إذ قال الله يا عيسى بن مريم أ أنت قلت للناس – إلى أن قال – قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾: المائدة: ١١٩ فعبر بإذ عن ظرف مستقبل لتحقق وقوعه. و قوله: ﴿و إذ أخذ ربك﴾ خطاب للنبي – ﷺ – أو له و لغيره كما يدل عليه قوله: ﴿أن تقولوا يوم القيامة﴾ الآية، إن كان الخطاب متوجها إلينا معاشر السامعين للآيات المخاطبين بها و الخطاب خطاب دنيوي لنا معاشر أهل الدنيا، و الظرف الذي يتكئ عليه هو زمن حياتنا في الدنيا أو زمن حياة النوع الإنساني فيها و عمره الذي هو طول إقامته في الأرض، و القصة التي يذكرها في الآية ظرفها عين ظرف وجود النوع في الدنيا فلا مصحح للتعبير عن ظرفها بلفظة "إذ" الدالة على تقدم ظرف القصة على ظرف الخطاب، و لا عناية أخرى في المقام تصحح هذا التعبير من قبيل تحقق الوقوع و نحوه و هو ظاهر.[٥٩] لكن ممن يؤيد هذه النظرية الطوسي بقوله: وقد بينا ان اخذ العهد هو ما نصب لهم من الحجج الواضحة، والبراهين الصحيحة الدالة على توحيده، وعدله، وصدق انبيائه ورسله.

وافسدنا ما يقوله اهل الحشو: من استخراج الذرية من ظهر آدم، واخذ العهد عليهم بما لا يحتاج إلى اعادته[٦٠].

رابعا: نظرية النشأتين النشاة الملكوتية والنشأة الدنيوية

بالرغم ان الايمان بعالم الذر يساوي الايمان بالنشأتين نشاة عالم الذر ونشأة عالم الدنيا،الا ان الطباطبائي لم يؤمن بعالم الذر الا انه يعلم بعالم النشأتين بشكل آخر وفي بيان توضيحها قال:

أما وجود الإنسان أو غيره في امتداد مسيره إلى الله و رجوعه إليه في عوالم مختلفة النظام متفاوتة الحكم فليس بمحال، و هو مما يثبته القرآن الكريم و لو كره ذلك الكافرون الذين يقولون إن هي إلا حياتنا الدنيا

٥٨– تفسير الميزان السيد محمد حسين الطباطبائي٨:١٧٢.
٥٩– الميزان.
٦٠– التبيان في تفسير القرآن المؤلف:شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي١:٢٨٣

نموت و نحيا، و ما يهلكنا إلا الدهر فقد أثبت الله الحياة الآخرة للإنسان و غيره يوم البعث، و فيه هذا الإنسان بعينه، و قد وصفه بنظام و أحكام غير هذه النشأة الدنيوية نظاما و أحكاما، و قد أثبت حياة برزخية لهذا الإنسان بعينه و هي غير الحياة الدنيوية نظاما و حكما، و أثبت بقوله: ﴿و إن من شيء إلا عندنا خزائنه و ما ننزله إلا بقدر معلوم﴾: الحجر: ٢١ أن لكل شيء عنده وجودا وسيعا غير مقدر في خزائنه، و إنما يلحقه الأقدار إذا نزله إلى الدنيا مثلا فللعالم الإنساني على سعته سابق وجود عنده تعالى في خزائنه أنزله إلى هذه النشأة[٦١].

و قد صح بالحجة القاطعة من طريق العقل و النقل أن إنسانية الإنسان بنفسه التي هي أمر وراء المادة حادث بحدوث هذا البدن الدنيوي، و أنت إذا تدبرت هذه الآيات- التي تصرح بالعهد والميثاق غير الآية مورد البحث - ثم راجعت قوله تعالى: ﴿و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ الآية و أجدت التدبر فيها وجدتها تشير إلى تفصيل أمر تشير هذه الآيات إلى إجماله فهي تشير إلى نشأة إنسانية سابقة فرق الله فيها بين أفراد هذا النوع، و ميز بينهم و أشهدهم على أنفسهم: أ لست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا[٦٢].

المبحث الثالث: اهداف الميثاق

ذكر صاحب الميزان ان من اهداف اخذ العهد والميثاق هو على ما يفيده السياق إبطال حجتين للعباد على الله و بيان أنه لو لا هذا الأخذ و الإشهاد و أخذ الميثاق على انحصار الربوبية كان للعباد أن يتمسكوا يوم القيامة بإحدى حجتين يدفعون بها تمام الحجة عليهم في شركهم بالله و القضاء بالنار، على ذلك من الله سبحانه.

و التدبر في الآيتين و قد عطفت إحدى الحجتين على الأخرى بأن الترديدية، و بنيت الحجتان جميعا على العلم اللازم للإشهاد يعطي أن الحجتين كل واحدة منهما مبنية على تقدير من تقديري عدم الإشهاد كذلك[٦٣]. وبذا يكون من اهداف الميثاق هو:

اولا: رفع الاعذار عن الالتزام بربوبية الله سبحانه وتعالى وهي

أ: دفع الاعتذار بالغفلة

و المراد أنا أخذنا ذريتهم من ظهورهم و أشهدناهم على أنفسهم فاعترفوا بربوبيتنا فتمت لنا الحجة عليهم يوم القيامة، و لو لم نفعل هذا و لم نشهد كل فرد منهم على نفسه بعد أخذه فإن كنا أهملنا الإشهاد من رأس فلم يشهد أحد نفسه و أن الله ربه، و لم يعلم به لأقاموا جميعا الحجة علينا يوم القيامة بأنهم كانوا غافلين في الدنيا عن ربوبيتنا، و لا تكليف على غافل[٦٤]، وهذا يعني ان الغفلة عذر شرعي وبموجبه لا يؤاخذ الله عبده بالتكاليف التي كلفها الله اياه اذا كان غافلا عنها بما فيها الاقرار بربوبيته تعالى لذا لاهميتها فان الله سبحانه وتعالى وضع المقدمات التي بموجبها لا يمكن للانسان ان يغفل عن ربوبية الله

٦١- تفسير الميزان السيد محمد حسين الطباطبائي٨:١٧٨.
٦٢- تفسير الميزان السيد محمد حسين الطباطبائي٨:١٧٨.
٦٣- تفسير الميؤان الطباطبائي ٨:١٧٢.
٦٤- تفسير الميؤان الطباطبائي٨:١٧٣.

سبحانه وتعالى ويبقى الانسان مرفوعا عنه التكاليف الاخرى اذا غفل عنها بمقدمات شرعية لا عامدا فمن الغفلة التي لا يحاسب عليها قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ يوسف٣

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ يوسف١٣

﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة٢٨٦

وقوله تعالى:﴿لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ يس٦

وقد ورد في الحديث في كتاب التوحيد: باسناده إلى جرير بن عبد الله، عن أبي عبد الله -عليه السلام- قال: رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: رفع عن امتي تسعة أشياء: الخطأ والنسيان، وما اكرهوا عليه، ومالا يطيقون، ومالا يعلمون، وما أضطروا إليه، والحسد، والطيرة، والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة[٦٥]

ولكن ليس كل غفلة فقد انتقم الله من قوم نوح عندما غفلوا عن المعجزات ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف١٣٦

وعندما يهيئ الانسان اسباب الغفلة بيده فهو يستحق العقوبة والحساب كما في قوله تعالى:

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف١٤٦

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف١٧٩

والانسان مكلف بالاتيان بالمقدمات التي ترفع عنه الغفلة كما في قوله تعالى:

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ الأعراف٢٠٥

﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ يونس٧ اولئك ماواهم النار بما كانو يكسبون﴾ يونس ٨

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ يونس٩٢

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ النحل١٠٨

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ الروم٧

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ الأحقاف٥

وقد يحرم استغلال الغفلة ويحاسب على ذلك كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور٢٣

٦٥- تفسير كنز الدقائق المؤلف: الميرزا محمد المشهدي ٢:٢٣١.

فذلك غفلة يحاسب عليها واخري لا يحاسب عليها وهي التي تهيات لها المقدمات التي تمنع الغفلة فالميثاق يعد من المقدمات التي تمنع الغفلة في اي صورة من الصور تصورناه ويفهم ذلك من كلام صاحب الميزان بقوله:

فالمتحصل من الآيتين أن الله سبحانه فصل بين بني آدم بأخذ بعضهم من بعض ثم أشهدهم جميعا على أنفسهم و أخذ منهم الميثاق بربوبيته فهم ليسوا بغافلين عن هذا المشهد و ما أخذ منهم الميثاق حتى يحتج كلهم بأنهم كانوا غافلين عن ذلك لعدم معرفتهم بالربوبية أو يحتج بعضهم بأنه إنما أشرك و عصى آباؤهم و هم برآء.(٦٦)

ب: دفع الاعتذار بشرك الآباء

العذر الثاني الذي يمكن ان يعتذر به الانسان في عدم الاقرار بالربوبية هو شرك الآباء

و يمكن ان يتصور الامر بالشكل التالي بأننا أشهدنا الآباء على هذا الأمر الهام العظيم دون ذرياتهم ثم أشرك الجميع كان شرك الآباء شركا عن علم بأن الله هو الرب لا رب غيره فكانت معصية منهم، و أما الذرية فإنما كان شركهم بمجرد التقليد فيما لا سبيل لهم إلى العلم به لا إجمالا و لا تفصيلا، فالآباء فهم المستحقين للمؤاخذة، و الفعل فعلهم، و أما الذرية فلم تتم الحجة على جميع بني آدم، و هذا معنى قوله تعالى: ﴿أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل و كنا ذرية من بعدهم أ فتهلكنا بما فعل المبطلون﴾.

فإن قلت: هنا بعض تقادير أخر لا يفي به البيان السابق كما لو فرض إشهاد الذرية على أنفسهم دون الآباء مثلا أو إشهاد بعض الذرية مثلا كما أن تكامل النوع الإنساني في العلم و الحضارة على هذه الوتيرة يرث كل جيل ما تركه الجيل السابق و يزيد عليه بأشياء فيحصل للاحق ما لم يحصل للسابق.

قلت: على أحد التقديرين المذكورين تتم الحجة على الذرية أو على بعضهم الذين أشهدوا.

و أما الآباء الذين لم يشهدوا فليس عندهم إلا الغفلة المحضة عن أمر الربوبية فلا يستقلون بشرك إذ لم يشهدوا، و لا يسع لهم التقليد إذ لم يسبق عليهم فيه سابق كما في صورة العكس فيدخلون تحت المحتجين بالحجة الأولى: ﴿إنا كنا عن هذا غافلين﴾.

و أما حديث تكامل الإنسان في العلم و الحضارة تدريجا فإنما هو في العلوم النظرية الاكتسابية التي هي نتائج و فروع تحصل للإنسان شيئا فشيئا، و أما شهود الإنسان نفسه و أنه محتاج إلى رب يربه فهو من مواد العلم التي إنما تحصل قبل النتائج، و هو من العلوم الفطرية التي تنطبع في النفس انطباعا أوليا ثم يتفرع عليها الفروع، و ما هذا شأنه لا يتأخر عن غيره حصولا (٦٧).

ثانيا: الالتزام بلوازم الربوبية

ومن الاهداف الاخرى هو الالتزام بلوازم الربوبية الواسعة التي تمتد الى جميع احكام الشرائع لان المربي يعطي تعليمات المفروض يلتزم بها المربوب اي الانسان المكلف وهذه التعليمات الصادرة من الرب هي الشرائع السماوية النازلة من الله.

٦٦- الميزان ٨:١٨٦.

٦٧- تفسير الميؤان الطباطبائي ٨:١٧٢.

لذا اختار القرآن الكريم صفة الربوبية دون غيرها من الصفات والاسماء عنوانا للميثاق لانها شاملة لجميع الصفات ولها لوازم شاملة منها:

اولا: نفي الشرك لانه اقرار بان الرب واحد.

ثانيا والالتزام بالعبودية لله لان من لوازم الربوبية العبودية والطاعة.

ثالثا: الالتزام بالتشريعات الربانية لانها من مقتضيات الطاعة.

رابعا: الالتزام بالشريعة الاسلامية باعتبارها آخر الشرائع وآخر التشريعات الصادرة من الرب الله سبحانه وتعالى وهذه التشريعات صدرت للانسان بعد ان سبقته تعليمات من خلال الشرائع السابقة وبعد ان تربى ونضج عليها جاءته التعليمات المتممة والمكملة بشريعة تامة كاملة نزلت على النبي محمد ولو وجد الانبياء السابقين لاتبعوا رسالت محمد لانها اكمل الرسالات واتمها.

نتائج البحث:

١- لاتوجد مؤلفات كثيرة حول هذا الموضوع، ومنها ماجاء موضوع الميثاق بابا من ابوابها، ومنها رسائل علمية طبقت موضوع الميثاق على بعض سور القران.

٢- ان خلاصة المعنى اللغوي كما جاء في المعاجم هو المحكم، و الامانة، والمعاهدة، والاحكام في الامر.

٣- ان خلاصة المعنى الاصطلاحي: هو عهد بين العبد وبين الله تعالى يعترف العبد فيه لله تعالى بالربوبية وعلى نفيه بالعبودية، ويلتزم بموجب هذا الميثاق بالطاعة لله تعالى.

٤- ان علماء التفسير متفقون فيما بينهم على تعريف الميثاق وان ايات الميثاق هي في سورة الاعراف.

٥- هنالك اهمية بالغة الى موضوع الميثاق لاننا مرتبطون بميثاق وعهد مع الله سبحانه وتعالى.

فان صاحب الميثاق الذي كان التوجه اليه بالميثاق والالتزام امامه فهو الله، واما الجهة التي التزمت بالميثاق وتعهدت به فهي الانسان، واما المحور الذي يدور حوله هذا الميثاق فهو ربوبية الله، اما المحتوى فقد بين في القران وهو سند الميثاق القوي، اما الشاهد والمواطن فهو الانسان نفسه.

٦- هنالك نظريات كثيرة في الميثاق تسمى نظريات الميثاق، ومن النظريات التي اتفق عليها الطرفان هي نظرية عالم الذر ومن اهم الذين علقوا على هذه النظرية الرازي صاحب التفسير الكبير ومن الشيعة صاحب الميزان.

٧- اختار القران الكريم صفة الربوبية دون غيرها من الصفات والاسماء عنوانا للميثاق لانها شاملة لجميع الصفات ولها لوازم شاملة منها الاقرار بان الرب واحد، و الالتزام بالعبودية لله، وكذلك الالتزام بالشريعة الاسلامية بعدها اخر الشرائع.

المصادر:

القران الكريم.

١- احكام القرآن المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢- تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية.

٣- تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم تأليف: د/عبد الرزاق بن فرج الصاعدي، الناشر عمادة البحث العلمي، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٤- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي سنة الولادة ٥٤٤/ سنة الوفاة ٦٠٤ تحقيق الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ٣٢.

٥- جمهرة اللغة المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين- بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين- بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م عدد الأجزاء: ٦.

٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين- بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م عدد الأجزاء: ٦.

٨- القرآن في مدرسة اهل البيت السيد هاشم الموسوي، الناشر مركز الغدير للدراسات الاسلامية، الطبعة الاولى ٢٠٠٠م.

٩- لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى سنة ٧١١هـ) الناشر دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

١٠- المزهر في علوم اللغة وأنواعها،المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١١- معجم اللغة العربية المعاصرة المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٢- المعجم الوسيط لمؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة،١:٣٢١.

١٣- معجم لغة الفقهاء المؤلف: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٤- المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

١٥- معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٦- المصطلحات الاسلامية السيد مرتضى لعسكري، الناشر المجمع العالمي لاهل البيت -عليهم السلام- ايران- قم، الطبعة الاول ٢٠١٠ م.

١٧- مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت- صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١٨- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني الناشر: مكتبة لبنان ناشرون -بيروت الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

١٩- معجم لغة الفقهاء المؤلف: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ١:٢٦٦.